بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية

قصة غريب ... أبو سليمان الفرنسي

بقلم
محمد بن سعيد الأندلسي
لطف الله به

شهر ربيع الثاني من عام ١٤٤٤ هـ

الحمـد للـه وكفـى والصـلاة والسـلام علـى المصـطفى أمـا بعـد ... فمـن بطـون السـجون وظـلام المنفـردات ... مـن ضـيق مـا بـين الأسـوار والجـدران المتقاربـات ... أيـامٌ تمضـي لا تُفـرق فيهـا بـين الصـباح والمسـاء ... قبـر ضـيق فيـه الصـلاة وفيـه الخـلاء ... حديـد موصـد دونـك لا يفـتحُ إلا ليوضـع لـك قـوتٌ مـن أسـفل البـاب، كمـا يقـدم للبهـائم والكـلاب ... قـد كُنـتَ يـا أبـا سـليمان قبـل ذلـك عزيـزا مطاعـا فصـرت مُسـتذَلاً مسـتباحا ... تُسـاق مـن سـجن إلـى سـجن معصـب العينـان، مـنكس الـرأس تجـر مـن أطـراف السـجان ... ضـيق وخـوف وتشـبيح وعـذاب ... حتـى اسـتقرت طلقـة الغـدر علـى ذلـك الجسـد النحيـل، ففارقـت روحـا طـاهرة بعـد القهـر والتنكيـل ... همـس إلـيَّ صـبيحة قتلـه مبتسـما فقـال: تـرى يـا فـلان إنـي أرى الفـرج القريـب!! ... لقـد اسـتيقظ فـي أخـر أيامـه فرحـا كأنـه سيسـاق إلـى زفافـه ولا يـدري إلـى أيـن يمضـي بـه الجـلاد بالحديـد... لقـد ذهبـوا بـه مـع رفاقـه إلـى الصـحراء، موثـق اليـدين إلـى الـوراء، فـأُجلس علـى ركبتيـه وأطلقـوا عليـه صـبرا رصاصـة الغـدر مـن القفـا ففاضـت تلـك الـروح إلـى السـماء ... لقـد كـان يحسـن الظـن بهـؤلاء أنهـم تاركيـه وليسـوا بقاتليـه وهـو الـذي حقَّـت رجليـه فـي الجبهـات ... لكـنهم كـانوا أشـد قسـوة بـه ممـن نكـل بهـم مـن رافضـة العـراق ... لقـد نصـرهم فخـذلوه وهاجر إليهم فقتلوه.

شبـــابٌ صغـــارٌ تقُـــادُ إلـــى سـيوفِ انتقـــامٍ دِمـــا تُستبـــاح
فمـن حـاد عـن طـائرات الصليب فـديوانُ أمـنٍ لهُـم فـي اجتيـاح
جــزاءً لـــمن نَاصروهـــم سِـــنين جِسامـــاً ضِـــعافاً تَـــئنُ جِـــراح
فهُـم مَـن أقَـامَ لهـم شَوكـة بِســـدِ الثُغـــورِ إلـــيهم يُصـــاح
فَرحلتُهـــم هكـــذا تَنتهـــي بِـــغدرٍ لئيـــمٍ وطَعـــنِ الجِـــراح
فَمـــا ضرهـــم أي سَيـــفٍ يَكـــون بـــه قتلُهـــم للعيـــونِ نُـــواح
عـــلى فِتيـــةٍ قـــد أرادُوا الحيـــاة إلـى اللـــهِ منـــهُ العطايـــا المـــلاح

أن تهـاجر إلـى دولـة تُؤمِـلُ أن تكـون لـك مـلاذاً مـن الخـوف وأمانـاً لـك مـن طواغيـــت الأرض ... تؤمـــل أن تكـــون موطنـــا لإظهـــار الـــدين بعـــد الاســـتخفاء والفـــرار بـــه مـــن الطواغيـــت ... أن تنفـــر إلـــى الثغـــور وأرض الـــوغى تبتغـــي العـــزة والتمكـــين وتبـــذل فـــي إقامـــة صـــرحها الغـــالي والنفـــيس وتُلقـــي بـــأعز مـــا تملكـــه فـــي هـــذه الـــدنيا ... أن تُلقـــي بهـــذه الـــنفس فـــي مـــواطن الهلكـــة فيمتلـــئ الجســـد مـــن شـــظايا الحديـــد حتـــى تتعطـــل بعـــض الأعضـــاء عـــن العمـــل الســـديد ... ثـــم بعـــد كـــل هـــذا البـــذل والعطـــاء تُجرجـــر إلـــى ســـجونها تُعامـــل كمـــا يعامـــل العبـــد الـــذليل الحقيـــر وتُضـــرب فيهـــا ضـــرب البهـــيم والبعيـــر وتعلـــق كالشـــاة الليـــالي الطـــوال تـــذوق النكـــال الكثيـــر وتســـجن فـــي منفـــردة لا تطؤهـــا الكـــلاب والحميـــر ... فقـــط لأنـــك تكفِّـــر المشـــركين والرعايـــا الكـــافرين وتحقـــق البـــراءة ممـــن أســـلمهم مـــن العالمين ... فحسبنا الله فيهم ونعم الوكيل.

لقـــد رافقتـــه أيـــام ســـجني معـــه فكـــان كبلســـم وظـــلٍ خفيـــف فـــي أيـــام شـــديدة عصـــيبة ... لقـــد كنـــت منبهـــرا جـــدا بشخصـــه وتوقـــد ذكائـــه ... إن كلمتَـــهُ فـــي الحـــروب فهـــو فارســـها تعرفـــه ســـاحات بيجـــي وتكريـــت والرمـــادي والأنبـــار فقـــد كـــان أميـــرا لكتيبـــة طـــارق بـــن زيـــاد التـــي أوجعـــت الرافضـــة فـــي

العـــراق ... وإن كلمتـــه فـــي علـــوم الـــدنيا فأنـــت مـــع مهنـــدس متخـــرج مـــن جامعـــات فرنســـا فـــي تخصـــص الاكترومكانيـــك، فقـــد صـــنَّع مـــن لا شـــيء جهـــازا لتصـــفية البتـــرول إلـــى بنـــزين نظـــامي الـــذي شـــح وجـــوده هنـــاك لمـــا كـــان في لـــواء داود في الشـــام ... إن كلمتـــه فـي العلـــم الشـــرعي كأنـــك تتحـــدث إلـــى أصـــحاب الاختصـــاص ... فهـــم دقيـــق فـــي مســـائل لـــم يُوفـــق إلـــى فهمهـــا ممـــن يتســـمون في الدولـــة "بالعلمـــاء" ... لقـــد كـــان مـــن الكـــوادر التـي نـــدر أن تجـــد لهـــا مثيـــل في تلـــك الســـاحات ... وتاللـــه لـــو كـــان مـــن أمثالـــه ثلـــة اليـــوم لكان الإسلام عزيزا.

كنـــا في تلـــك المخـــادع كـــلٌ منـــا جـــالس في زاويتـــه يتحســـس رقبتـــه ... لقـــد كـــان المـــوت أقـــرب مـــن أحـــدنا إلـــى شـــراك نعليـــه ... ننـــام علـــى آهـــات المشـــبَّحين ونســـتيقظ علـــى أســـواط جلاديهـــم ألا لعنـــة اللـــه علـــى الظـــالمين ... وبـــين تلـــك الأجـــواء المشـــحونة قـــص لـــي قصصـــه فقـــال: لقـــد كنـــت لا أعـــرف شـــيئا عـــن الإســـلام البتـــة كنـــت مســـلما بالهويـــة ــ فهـــو مـــن أصـــول مغربيـــة ـــ فكنـــت شـــابا طائشـــا أبيـــع الممنوعـــات بـــين فرنســـا والـــدول الاســـكندنافية، أشـــتري مـــن هنـــا وأبيـــع هنـــاك، وفـــي بعـــض الـــرحلات أمســـكني الطواغيـــت وحُكـــم علـــيَّ بالســـجن لســـنتين ... يقـــول فكنـــت لا أكـــاد أســـتيقظ مـــن تـــأثير المخـــدرات ... فـــذات يـــوم اقتـــرب إلـــيَّ بعـــض المســـاجين فـــذكرني باللـــه وأعطـــاني المصـــحف مترجمـــا وقـــال هـــذا كـــلام اللـــه ... يقـــول فأخذتـــه ولبثـــت أقـــرأ دون توقـــف حتـى أتممتـــه فوقـــع في قلبـي شـــيء عظـــيم ... ثـــم عـــاد إلـيَّ صـــاحبي وأعطـــاني نســـخة مـــن صـــحيح البخـــاري فقـــال هـــذا كـــلام رســـول اللـــه ﷺ ... قـــال فبـــدأت رحلـــة جديـــدة فـــي معرفـــة الإســـلام وتغيـــرت تلـــك الحيـــاة المنكوســـة رأســـا علـــى عقـــب ... يقـــول أكملـــت الســـجن وخرجـــت منـــه بتوجـــه "جهـــادي" ومـــا لبثـــت أن تركـــت الأهـــل والتحقـــت بـــالعراق أتنقـــل بـــين الثغـــور إلـى الثغـــور ... وبعـــد

فترة أمَّرني عمر الشيشاني على كتيبة طارق بن زياد التي كانت معروفة بالاختراق الشديد حيث أنها كانت تَجمُّع الأوروبيين في العراق ... فعمل فيها فترة من الزمن وأعاد ترتيبها وهيكلتها حتى أضحت من أفضل الكتائب على الإطلاق ترتيبا وقتالا، وأنجاه الله من استهدافات عديدة للتحالف ... وما لبث أن اختلف مع قيادة المكتب العسكري للجند في قضايا كثيرة ومن أبرزها طريقتهم في الزج بالمهاجرين في الجبهات دون تخطيط وتجهيز مما تسبب في قتل الكثير منهم على هذا السبيل الهمجي ... فأصبح أبو سليمان يمتنع من دخول كتيبته في بعض الجبهات إلا بترتيب معين فجردوه من الإمارة وفرز بعدها الى لواء داود للتصنيع والتجهيز ... ولما ظهر السجال العقدي في الدولة إلى العلن بظهور أول بيان من الفرقان التفت جمهور المهاجرين إلى هذا السجال وبدأ النظر في المسائل العقدية وابتغاء الحق فيها مطلوبا منهم ... مما فتح الله به قلوب الكثير منهم إلى الحق الضائع تحت هذه الراية، وهدى الله من تجرد للحق منهم وعرفوا مواطن الغلط بتوفيق من الله تعالى ... فجلس بعدها عن القتال وكانت عليه العين الخبيثة تتابع أنفاسه وترقب خطواته وأحواله حتى تخطَّفته أيادي الأمن إلى سجون الفتنة والبلاء ... فلم يلبث حتى أتاه السهم الغادر من الوراء ... ألا لعنة الله على الظالمين ...

أَمـا وَاللَـهُ إِنَّ الظُلـمَ شُـؤمٌ ... وَلا زالَ المُسـيءُ هُـوَ الظلـوم
إِلـى الـديّانِ يَـومُ الـدينِ نَمضـي ... وَعِنـدَ اللَـهِ تَجتَمِـعُ الخُصـومُ
سَـلِ الأَيّـامَ عَـن أُمَـمٍ تَقَضَّـت ... سَـتُخبِرُكَ المَعـالِمُ وَالرُسـومُ

رحلوا إلى روح وريحان فنعم المراح ... يا رب بل في جوف طير أخضر غاد وراح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين

